(شَمس)

مَاذا عن الخيال؟!

أنتَ هناك تتوسط مائدة طعام أبدعت في تجهيزها، كل شيء على ما يرام ما دامت يداك تحسسته، أجلس على يسارك في واجهة شمس قلبي التي أشرقت لتكون ابنتي، ستمارس طقوسك المفضلة في إثارة غيرتي وتطعمها وتتضاحكان سويا إلى أن أتدخل بصفةِ أمٍ وقلبُ طفلةٌ مراهقة فتذكرني بجودة طعامي الذي لا يرتَقي سوى لقفص العصافير التي تتلاعب به شمس معكَ، تتضاحكان طويلًا وأنهض أنا سريعًا لأغلق الباب على الصغير القابع بسريره والذي أحتسب نومه أفضل انجازات يومي، محاولة بائسة أن أشكك في جودة طعامك لتجيب هي الثانية أنه أروع ما أكلت، تلك التي ورثت منك القدرة على إثارة غيظي، أخيرًا هنَّا تذكرتوا أنني الزوجة والأم لتأتي هي وتضع قبلة حانية على وجهي وتردد أنتَ أنكَ سعيدًا بطعام العصافير الذي أجيد صنعه.

رُبما تكون جالسًا مُمسكًا بحاسبك الخاص منهمكًا في عملك، ستتأخر وقتها كثيرًا لتشاركنا مشاهدة الكارتون، لم تكُف عن غيظي، ستتركني كثيرًا أدعوك أن تنهي عملك، سيجف صوتي وربما ينفد وأنت لا تجيب، ثم تأتي شمسك، لتغلق أنت حسابك وتسرع إليها تتبادلون العرائس وتعيدون تشكيل مكعبات بيت واسع، بالتأكيد ستجيد الخيال كأمها، وتتقن التنفيذ كأبيها، سأتابعكم من بعيد في محاولة بائسة لينام

الصغير، فتهمس إليها في خطة جديدة... أنني السلة وهي معها الكرة لتحسن تصويب الهدف إلى وجهي، لتعلي صوتك أن هذا خطأ وكيف لها أن تفعل ذلك، لا بُدّ لها أن تتدرب كثيرًا لتحسن توصيل الهدف إلى عيني، فتزداد غيظتي وحيرتي وأبكي كطفل أصغر من طفلتي، أعاود طلب السلام لترجع ظهرك للوراء واضعًا قدمًا فوق الأخرى وهي النسخة الثانية منكَ، تتبادلون المناقشات إلى أن تعفو عني ونعقد اتفاقية سلام، أعلم أنها ستدُوم ربع ساعة لكن ليس هناك حلًا آخرًا.

ستعود متأخرًا عن وقت العمل، بالتأكيد هناك ألعابًا جديدة وحذاء يناسب رقص الباليه، فستان جديد لذكرى ميلاد شمسنا، ابتسامات تشرق لها الحياة ويزهر لها قلبي وأنا أحبُك كثيرًا، ستخبرنا أنه الصباح فلنستعد لسفرًا تجهز له منذ أيامًا ليليقُ بعامًا جديدًا لزهرة عمرك، ستقبُلك هي بسرعة وتسرع لتلبس جديدها، وأسرع أنا لتجهيز الحقائب ورؤية الصغير وأنام لرحلة غد، أستيقظ بخيبة أمل هي كل عمري التي أحيا معها، لا أنت هنا ولا هناك شمسًا ستشرق ولا صغيرًا يبكي لأحتضنه، هو فقط الخيال الذي يحي روحي ويدمي قلبي ويذكرني بفراقك.

***